أسعد زكاري.. حيّ بفنه وإبداعه لا يموت..

زياد كامل لـ«الوطن»: تجربته فريدة ومهمة وهو جزء من الفن التشكيلي السوري

سارة سلامة- ت: طارق السعدوني

أنا لم أولد في برلين أو باريس، أنا ولدت في دمشق، لذا يجب أن أعمل فناً يمت بصلة للبلد الذي أعيش فيه»، هذا أبرز ما قاله الفنان التشكيلي السوري الراحل أسعد زكاري، بتجربة وموروث مختلف، جعلته يرسم خطاً خاصاً بسيطاً وعفوياً وفي الوقت نفسه أنيقاً ومثيراً، وبالرغم من أنه خريج كلية الهندسة، إلا أن الرسم احتل عنده درجة الهوى والشغف..

كان يرسم ليبدع وتميز بالفن الشعبي الصعب الممتنع، تلون بألوانه، وأعاد قصة عبلة وعنترة لمرات كثيرة، تميز وإبداع كان لا بد أن يوثق ليبقى ذاكرة حقيقية لجيل كامل.

حيث شهدت قاعة الرحاب في فندق أمية تكريماً من نوع خاص، هو أشبه للتوثيق واسترجاع ذاكرة تشكيلية سورية عريقة. وبرعاية اتحاد الفنانين التشكيليين أقام زياد كامل ندوة عن مسيرة حياة وفن أسعد زكاري، بإدارة كل من «سعد القاسم، أكثم طلاع، وغازي عانا»، وإصدار كتاب خاص عنه، وعرض فيلم يوثق تجربته.

استوحى من الشرق

وبعد اطلاعه على سيرة الفنانين الكبار مثل ماتيس وبول كليه وغيرهم الكثير وجد أن أعظم الأعمال كانوا يستوحونها من الشرق وذلك من خلال زياراتهم المتواصلة للمغرب والجزائر ومصر وبما أنه مولود في دمشق تنبه إلى ضرورة العمل ضمن مجال البيئة التي عاش بها وتأثر بأعمال الواسطي وأبو صبحي التيناوي.

واختبر الطريق الواجب اتباعه من ضرورة تطوير الأرابيسك ومن هذه الناحية كان تأثره بالتجربة التي بدأها الفنان المصري سعد كامل وبدأ بعمل دراسات وتطويرها من هذا المنطق ومن ثم بدأ التحول نحو تطوير الفن الشعبي المحلي وذلك من خلال الرواسب والخبرة الطويلة التي مر بها وبالطرق الحديثة.

جزء من الفن السوري

وكشف زياد كامل أنني: «أعمل في مجال تجارة الفن بسورية، ومهتم جداً بنشر وتوثيق الفن السوري، ونستطيع أن نعتبر زكاري من الرواد السوريين أو من المعاصرين، إلا أنه فنان مغمور نوعاً ما، بسبب طبيعته ولأنه لم يعش في سورية إلا فترة قصيرة، درس في مصر وعاش بأوروبا وبفترة السبعينيات أسس غاليري في سورية باسم «أوغاريت غاليري»، لذلك أحببت أن أضيء على تجربة هذا الفنان من خلال هذه الندوة التوثيقية عنه، لأنه مهم ويعتبر جزءاً من الفن السوري ولديه تجربه فريدة وخاصة».

فنان مثقف ومطلع

بينما بين أكثم طلاع أن: «هذه الظواهر الثقافية جميلة وهي بدأت تظهر مؤخراً، موضوع مهم الاحتفاء بالفنان التشكيلي سواء كان راحلاً أم حياً، ويأتي هذا الاهتمام من قبل الأطراف العاملين في اللوحة، المسوق والمقتني ومن أهل الفن، فزياد كامل مطلع على تجربة زكاري الكاملة واستطاع أن ينجز كتاباً موسوعياً كاملاً يشمل كل مراحل الفنان».

وأضاف طلاع إننا: «أمام منتج أكثر من ٦٠ عاماً، كان يشارك في معارض فردية وجماعية.

وتعتبر تجربته تجربة واسعة وغنية قد تحسب له وتحسب عليه يعني إذا أردنا أن نتناول شخصيته في الفن شعبي نكون قد همشنا الجانب الأكبر وهو جانب اللوحة التي يطرحها متأثراً بالكثير من الفنانين العالميين، يبدو أن زكاري فنان مثقف ومطلع على فنون الآخرين أيضاً هو من خارج الإطار المهني للفن التشكيلي مهندس أخذه حبه وشغفه للفن أن يمارس هذا المجال كهو وكانت تجربته واسعة وغنية».

أداء متفرد

وقال الفنان بديع جحجاح إن: «الشيء الذي ساعد الفنان زكاري ومكنه من الأداء المتفرد في لوحته هو دراسته للهندسة بشكلها العام الاختصاص هندسة مدنية، ولكن الهندسة أيضاً تحتاج إلى دراسة حجم الكتل والفراغات والعناصر وتشابكها مع بعضها فيخلق هذه الموسيقا، وأهم ما فيه أنه قال إنه لم يخلق في باريس ولا أميركا وإنما خلق في دمشق لذلك يجب أن يقدم فناً يشبه دمشق».

وأضاف جحجاح إن: «زكاري هو جيل مختلف ويقدم مجموعته الفنية الخاصة به عنترة وعبلة بأسلوبية مميزة، كما أنني تشرفت بلقائه عدة مرات وتحدثنا عن الكثير من التفاصيل».

إنسان وفنان

وقال النحات غازي عانا إن: «زكاري فنان وإنسان لديه قيم مهمة فهذا الرجل هو إنسان عظيم وفنان نبيل بكل معنى الكلمة، ظلم في حياته كثيراً، فهو لم يكن يحب الإعلام أو الظهور حتى عندما توفي لم يسمع به أحد، وهو أحد المؤسسين للمشهد التشكيلي السوري واشتغل بالفترة الذهبية التي كان فيها العمالقة وأثبت وجوده وحضوره وتميز بشكل كبير».

وأضاف عانا إن: «هذه الخطوة اليوم جميلة جداً في إعادة ذكراه، لأنه ليس معروفاً جداً بالحركة التشكيلية السورية مع أنه ضمن العشرة الأوائل في المشهد التشكيلي السوري، وقيمة العمل التشكيلي تأتي من عدة مقومات منها حالة الصدق التي يتعاطى فيها الفنان العظيم، ويتعامل مع لوحته بصدق عجيب ويحكي فيها عن مرحلته وتجاربه وفي مصر كيف عاش، حالة صدق كبيرة فيها الكثير من البساطة والعفوية، وتعتبر تجربته مهمة لأنه لم يختص فهو يتمتع بهامش حرية كبير واشتغل على كل المواهب والأساليب».

تجربة غنية ومتنوعة

ومن جهته بين سعد القاسم أن: «زكاري من الفنانين الذين لم يأخذوا حقهم إعلامياً وتعتبر تجربته غنية ومتنوعة وفيها أكثر من اتجاه، لكونه لم يكن موجوداً دائماً في سورية وكان يعمل بمجال الهندسة أكثر لم تستطع تجربته أن تأخذ مداها، كما أنه درس شبه دراسة خاصة للفنون، وحاول أن يستفيد من الرسم الشعبي والأهم من تجربته هو تسليط الضوء على التجربة شيء مهم خاصة أن هناك جيلاً كاملاً من الفنانين ذهب قسم من أعمالهم ولم توثق وبقوا مجهولين بالنسبة للأجيال الجديدة».

ذكي بصرياً

وفيما أفاد موفق مخول أن: «زكاري فنان مهم جداً وعلى ما يبدو كان لا يحب الشهرة ويشتغل أعمالاً لنفسه، وحاول في تجربته أن يحافظ على التراث، ويربطه مع المعاصرة والحداثة، ويتقيد بالحالة الدمشقية، هو فنان ذكي بصرياً جمع الأشياء مع بعضها بصمت، مهمتنا أن نعيد ونبش الذاكرة ونعرف الأجيال على المبدعين وهذه حالة مهمة، وخاصة أنني وقفت لدقائق أمام لوحاته وشعرت أنني أعرفه منذ ١٠٠ عام وهذه أهمية الفن التشكيلي أن يشدنا خلال ثوان».

تذكير الأجيال

وبيّن الممثل فايز قزق أن: «التذكير بالفنانين على اختلاف اختصاصاتهم شيء مهم جداً، ولذلك أنفسنا أن هناك فنانين أحياء يستحقون وجود تماثيل لهم بأماكن موجودة في الساحات والجامعات وفي بلداتهم وغاليرهات عملوا بها ربما، يجب تعريف الأجيال على أحدهم، وأحدثنا حقيقة كهؤلاء من أمثال الفنان أسعد زكاري وفاتح المدرس والأحياء منهم ومن جيلنا كادكتور أحمد معلا وغيره يجب التعريف بهم وهذا شيء جداً مهم».

مسيرة حياة

ويذكر أن الفنان أسعد زكاري ولد دمشق عام ١٩٣٠، وأكمل دراسته الابتدائية في التطبيقات مع أوائل التوجه نحو فن الرسم بمساعدة أخيه «الفنان أحمد زياد» والثانوية العامة في معهد اللايبك مع توجيه أستاذ الرسم الفرنسي آنذاك.

وحصل على بكالوريوس الهندسة المدنية من جامعة الإسكندرية بمصر عام ١٩٥٨، وأثناء دراسته الجامعية كان يواظب على تمارين الرسم من الموديلات الحية لدى معهد «بيكلي»، الإيطالي بمدينة الإسكندرية وذلك بين عامي ١٩٥٢– ١٩٥٣، ودرس في التصوير الزيتي لدى مرسم «سيف وانلي»، بشارع بريبره بالإسكندرية بين عامي ١٩٥٣– ١٩٥٦.

والحدث الأهم في سيرة أسعد زكاري كان يوم أقام معرضه الفردي الأول في المتحف الوطني بدمشق عام ١٩٥٦، حيث أحدث صدى واسعاً في الوسط التشكيلي بفضل الروح الجديدة التي عبّر عنها في البحث عن أشكال أكثر حداثة، مع المحافظة على تماسك الخطوط ونقاء الألوان، وخاصة لوحة(العذراء) التي سبق أن عرضها في معرض الأصدقاء الثلاثة في الإسكندرية وحظيت باهتمام إعلامي خاص. ولم يشارك أسعد زكاري في المعرض السنوي حتى عام ١٩٥٩ (معرض الربيع والخريف) ولقيت مشاركته الصدى ذاته الذي لقيه معرضه الفردي، حتى إن الكتاب الذي أصدرته وزارة الثقافة عن المعرض السنوي منذ تأسيسه عام ١٩٥٠ قد أفرد مساحة خاصة لسرد سيرته الذاتية المختصرة ضمن ثلاثين مصوراً من أصل ١٤٨ فناناً شاركوا في المعرض منذ تأسيسه حتى ذلك العام.

توفي الفنان أسعد زكاري في ٢٥ تموز ٢٠٢٠ إثر نوبة قلبية عن عمر ٩٠ عاماً.

حفل تأبين وتكريم للشاعر الراحل فايز خضور

يانا خضور: تمسّك والدي بمبادئه الوطنية والقومية وترك إرثاً ثقافياً مهماً

سوسن صيداوي
ت: طارق السعدوني

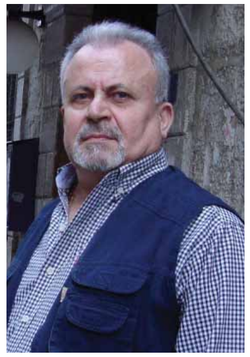

الرسالة يجب أن تبقى مستمرة، ويجب أن يكون هناك دائماً أشخاص يتبنونها بحكم عملهم، أو حبهم، وجميعاً من منطلق إيمانهم الكبير، بأهمية الثقافة العميقة، البعيدة عن الثقافة السطحية التي طغت مؤخراً على المشهد الثقافي السوري. وهذا الحديث بمناسبة إقامة اتحاد الكتاب العرب حفل تأبين وندوة نقدية عن الشاعر الكبير فايز خضور، في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

وكان قد بدأ برنامج الحفل بالنشيد العربي السوري، ليتبعه عرض فيلم قصير عن الشاعر الراحل فايز خضور، ومن ثم كلمة لرئيس اتحاد الكتاب العرب ألقاها د. محمد الحوراني، وبعدها جاءت كلمة الحزب السوري القومي وقدمها د. صفوان سلمان، وبعدها كلمة الأصدقاء التي ألقاها أ. الشاعر حسين عبد الكريم، وأخيراً كلمة آل الفقيد وكانت قدمتها ابنة الراحل يانا فايز خضور.

ليبدأ من بعدها برنامج الندوة النقدية خلال جلستين، الأولى قام بإدارتها المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب د. ثائر زين الدين، وليشارك في المحور: الصورة الإبداعية عند فايز خضور، من لبنان البلد الشقيق، د. وجيه فانوس.

وفي محور التجريب وتراسل الأجناس لدى فايز خضور، قدمه د. سعد الدين كليب.

وقام بإدارة الجلسة الثانية، د. وجيه فانوس، ليتحدث في محور فايز خضور وقصيدة التجربة، د. نزار بريك هنيدي، على حين شارك د. جمال أبو سمرة في بحثه بالمحور ذاته القصيدة عند فايز خضور، وأخيراً تحدثت د. بتول دراو في محور حوار في حوارات الشعر والشاعر. إضافة إلى شهادات من الشعراء شوقي بغدادي ونزيه أبو عفش قُدمت في سيرة الراحل.

احترام الآباء أو المؤسسين

في تصريح خاص بـ«الوطن» شدد رئيس اتحاد الكتاب العرب الدكتور محمد الحوراني على النهج المستمر في اتباعه اتحاد الكتاب العرب، باحترام ثقافة الآباء والأجداد قائلاً: «من لا يمكنه أن يحترم حاضره ولا ماضيه لا مستقبله، لا يمكنه أن يحترم ثقافة الآباء والأجداد، ومن هنا عندما نقيم حفلات تأبين أو ندوات عن شخصيات مرموقة مثل شخصية فايز خضور، المنحاز للوطن وللإنسان وللتجديد. وباستمرارنا بهذا النهج فنحن نؤسس لثقافة جديدة يجب أن تبقى إرثاً لأبنائنا والأجيال الجديدة وهي ثقافة معمقة بعيدة عن الثقافة السطحية، والتي غزت المشهد الثقافي عموماً، ونحن عندما نقوم بتكريم فايز خضور إنما نقوم بتكريم أنفسنا وثقافتنا. مضيفاً في كلمته التي ألقاها: «أي فراغ سيتركه رحيلك وأنت الذي لم تأت إلى الحياة بإرادتك، ولم تختر والديك، أو اسمك وشكلك، ولكنك اخترت الأهم من هذا وذاك، اخترت قصائد باهرة، ولغة عالية جمعت بوح الأنبياء وتأمل الفلاسفة ورؤية الفنانين وشغف المحبين. لقد حرصت يا راحلنا الكبير أن تتظهر بالكلمات على مدار ستة عقود أو يزيد فأسفر وضوءك عن أيقونات في الثقافة السورية والشعر السوري سيخلّدها التاريخ وتخطها الأجيال».

لا تكن إلا حقيقياً

من جانبها ألقت ابنة الراحل يانا فايز إلى أن عزاءها في مصابها هو تمسّك الشاعر فايز خضور بمبادئه الوطنية والقومية، متابعة «عزائي اليوم في هذا المصاب الجلل بما تركه الوالد الراحل من إرث ثقافي مهم، وما أسسه في تاريخ الحداثة الشعرية، وثروته الكبيرة في مكتبة تضم آلاف الكتب النادرة. عزائي بحياته الحافلة بالتحديات والنضال والثبات على مبادئه الوطنية القومية حتى آخر يوم في حياته، مؤكداً أن الحياة كلّها وقفة عز فقط. أذكر أنه قال لي يوماً: (لم أترك شيئاً في نفسي إلا وكتبته). عرفته أباً صارماً بحجم حياته الصاخبة، علّمنا أن الحقيقة والصدق هما أساس الشخصية القويمة (لا تكن إلا حقيقياً) كانت تلك كلماته الدائمة لنا».

الصورة الإبداعية في شعر فايز خضور

تحت هذا العنوان تحدث د. وجيه فانوس، في مقاربة بين أبي تمام وسعيد عقل، مشيراً إلى أن الصورة الإبداعية في الشعر، تأتي لتكون ثقافية بشكل بحت، وهذا ما برع فيه نخبة من كوكبة من مبدعي الصورة في الشعر العربي، منهم أبو تمام وسعيد عقل وفايز خضور، والأخير الصورة عنده تدخل في رحاب المشهد الثقافي لإبداع في الصورة الشعرية بسياق جديد وألق مختلف، شارحاً د. وجيه فانوس بأن هذه الصورة هي بعيدة عن الواقع، بل تقتحم الذات في عتمة دهاليز الوجع، فالشاعر خضور قادر على رسم صورته بعبقرية وعبر بناء عضوي ترتبط فيه الذات بالعمق الإنساني، معاتقة الوعي السياسي بألق الرؤية القومية، خاتماً د. وجيه بالقول: «يأخذنا الراحل على ضفاف جمالية، تصوغ برفرفة إبداع تندر له أن عُرف له سابق، إنها مع فايز خضور، درامية الإبداعية، ودرامية الغرائبية، تتوسد راضية ذراع العبقرية معطاء، وتنام في استقبالنا الأدبي لها، عروس جمال من صميم وجدان يعاني الحياة فرحاً وحزناً ووجعاً وراحة، ولكن في دنيا من الشعر الجميل».

التجريب وتراسل الأجناس

وأخيراً وتحت هذا العنوان تحدث د. سعد الدين كليب شارحاً الآداب والفنون عبر تاريخها، كيف أنها لم تشهد محاولات التطويع للمادة والشكل والأسلوب، وبأن محاولات التجريب فيها كانت واضحة فيما شهدته مع الحداثة الأخيرة التي فتحت الباب على مصراعيه لتلك المحاولات التي تتأسس على مفهوم الحرية بوصفه قانون الحداثة الأول، وبالتالي بات التجريب لا التطويع فحسب، هو المهيمن على الآداب والفنون، للخروج على الأشكال الفنية المتوارثة، بل للخروج أيضاً على الأشكال المستجدة المعمّمة، مضيفاً د. سعد الدين كليب: «لعل تجربة فايز خضور تكون من التجارب المهمة في هذا الشأن، حيث التجريب الفني في أقصاه وعلى مختلف الصعد لغوياً وإيقاعياً وتصويرياً، من جهة، وحيث التراسل الجمالي من جهة أخرى، وهذا واضح في مجموعته الشعرية الأولى». خاتماً بالحديث: «لا شك في أن تجربة فايز خضور واحدة من أهم التجارب الشعرية السورية والعربية في شعر الحداثة عامة، وذلك بما انطوت عليه من تشكيلات لغوية وإيقاعية وتصويرية، ومن أشكال فنية غنية ومتنوعة، ومن قيم جمالية وثقافية وفكرية عصرية، وهو ما أثرى حركة الشعر الحديث عامة، وإن ما اجترحه فايز خضور في تجربته هو ما أثرى حركة الشعر الحديث عامة، وإن ما اجترحه خضور في تجريبه الفني من تشكيلات وأشكال وأساليب بات في عهدة الشعر والشعراء والنقد والنقاد أيضاً».